محور في بحثين:
الأدب الستّيني في العراق

سامي مهدي
طراد الكبيسي

١ـ حركة الشعر الستيني في العراق(*)

سامي مهدي

١ ـ المشهد العام

كان إرهاب السّلطة العارفية يخيّم على العراق كلّه، وكانت السّجون تكتظّ بالمناضلين، والمقاهي تعجّ بالعاطلين عن العمل والمفصولين منه لأسباب سياسيّة. وكانوا، هم، أو أغلبهم، شبّاناً خرجوا توّاً من تجربة سياسيّة مريرة تفوح منها رائحةُ الدّم، فجمعتهم المحنةُ المشتركة في المقاهي علىٰ غير موعد، ووحّدَتْ مجالسهم رغم الذّكريات القاتمة، ورغم خلافاتهم وصراعاتهم المستمرّة، بل رغم عيون المخبرين المحيطة بهم من كلّ جانب.

كانوا كثيرين يُعدّون بالعشرات: شعراء، وقصّاصين، ورسّامين، وكتاباً، ومسرحيّين، أو هذا ما أرادوا أن يكونوه. جاءوا من محافظات العراق المختلفة، وأقاموا في بغداد ليدرسوا أو يعملوا، أو ليدرسوا ويعملوا، فاستقبلتهم فنادقُها المتواضعة، وغُرَفُ بيوتها القديمة، وموائدُ باراتها الرخيصة، فكانت لهم تجمّعات صغيرة تلتئم في المقاهي، وتلتقي، مصادفة، بتجمّعات أخرى سبقتهم إليها، تجمّعاتٍ خرجتْ من حارات بغداد وأزقّتها، واتّخذتْ من المقاهي ملاذاً لها، يوم كانت المقاهي ماتزال ملاذاً لقضاء الوقت وتبديد الفراغ.

كان أغلبهم حديثَ عهد بالنّشر. فمنهم من نشر شيئاً من كتاباته هنا أو هناك، ومنهم من لم يكن قد خطا خطوة واحدة خارج حدود زوايا القرّاء. ولكنّهم كانوا مفعمين بالأحلام والطّموحات، تمضُّهم لهفةٌ شديدة إلى القراءة والكتابة والحوار والجدل. وكان لديهم من الفراغ ساعات طويلة: فهم بين موظّف صغير منسي، أو مفصول من وظيفته، أو عاطل عن العمل أصلاً، أو طالب جاء إلى المقهى ليدرس ولكنّه لم يجد بدّاً من أن ينفق بعض الوقت معهم. وكانوا ـ جميعاً ـ يستثمرون هذا الفراغ في المناقشات الأدبية، وفي الحديث عن آخِرِ ما يقرأون ويكتبون. غير أن هذه المناقشات كثيراً ما كانت تتحوّل إلى «مناوشات» إيديولوجيّة وسياسيّة؛ فهم في نهاية الأمر ذوو ميول واتّجاهات، ولأكثرهم تجربة سياسيّة. وعندئذٍ كانت تبرز الخلافات، ويحتدم الجو، فتنبو كلمةٌ من هنا، وأخرى من هناك، فتعلو الأصوات، وقد تتقافز الطعونُ والاتّهامات، حتّى ليحسب المرء أنّ الأيدي ستشتبك. وعندئذٍ ينفرط المجلس، ويذهب كلّ في سبيله، ولكن ليعودوا من جديد في عصر اليوم نفسه، أو صباح اليوم التّالي.

على أنّ هذا النوع من «المناوشات» كان طبيعياً في حينه ومنطقياً. فرغم أنّ ارتباطات هؤلاء بأحزابهم كانت مقطوعة في الغالب، فقد كانوا مايزالون يوالون تلك الأحزاب بدرجة أو بأخرى. ذلك أنّهم كانوا يحتفظون بالتزاماتهم الأخلاقية تجاهها، وبارتباطاتهم العاطفية بها، وبأساسيّات تكوينهم الفكري فيها. ولم يكن هيّناً على أيّ منهم أن يطوي صفحةَ تاريخه في حزبه؛ فهي، رغم كلّ شيء، صفحةٌ يعتزّ بها من حياته. ولم يكن يسيراً، والإرهاب العارفي على ما كان عليه، أن ينفرد أيٌّ منهم بنفسه في مواجهة ما يحيط به. ومن هنا كان كلّ منهم ينشدّ إلى رفاقه؛ فإليهم يطمئن، وبهم يلوذ، ويقول أمامهم ما لا يقوله أمام غيرهم. وكان كل طرف يستقطب القلائلَ المستقلّين بشكل أو بآخر.

جنوح فكري

غير أنّ ثمّة حقيقة مهمّة لابدّ من ذكرها، وهي أنّ هؤلاء تأثّروا

(*) هذه المقالة تتكوّن من مبحثين غير متتابعين انتقيناهما من مخطوط كتاب عنوانه **الموجة الصاخبة ـ حركة الشّعر السّتيني في العراق** سينشر في وقت قريب.

يحاول المبحث الأول أن يرسم مشهداً بانورامياً للمناخ الثّقافي والسّياسي الذي ظهرت فيه الحركة، ويعطي بعضَ ملامحها.

أمّا المبحث الثّاني فيسرد الظّروف والملابسات التي رافقت صدور أهم مطبوع جسّدَ طموحَ هذه الحركة وعبّر عنها، وهو: مجلّة شعر ٦٩ وبيانها الشّعري.

بأفكار تختلف، وأحياناً تتناقض، مع أساسيّات تكوينهم الفكري التي قلنا إنّهم قد احتفظوا بها. ومؤكّد أنّ ذلك يعود إلى انقطاعهم عن تنظيماتهم الحزبية أولاً، وإلى ما أصابهم من خيبات سياسية ثانياً. فكان أنْ تسلَّلَتْ إليهم، بدرجات متفاوتة، الأفكارُ الوجودية والعدمية والتروتسكية والفوضويّة، حتّى إنّ نفراً منهم أعاد الاعتبار لتروتسكي وأفكار الأممية الثانية. وحين تألّق نجم «الغيفارية» صار «أرنستوتشي غيفارا» بطلاً محبّباً لدى أغلبهم، وراحت صورُ مقاتلي الجبال والأوغال تداعب مخيّلاتهم، بل كان بعضهم يحسد الكاتب الفرنسي «ريجيس دوبريه» على ما وصل إليه من شرف بسعيه إلى غيفارا. وحين انفجرتْ أحداث أيّار ١٩٦٨ في فرنسا كان هناك من عثر على بغيةٍ أخرى، فصار أبطالُ هذه الأحداث من النّجوم التي يتطلّع إليها، وصار «هربرت ماركوز» ومنظرو «اليسار الجديد» على اختلافهم قِبْلةَ اهتمامه وتتبّعه، بينما لم تحظَ «الثورةُ الثّقافية» الصّينية بمثل هذا الاهتمام مثلاً.

كان أكثر أفراد هذا الجيل يبحث عن خلاصٍ غير ذاك الذي وعدتهم به الأحزابُ التي كانوا ينتمونَ إليها.

لقد كان أكثرهم يبحث، في هذا الخليط المتنافر من الأفكار، عن «خلاص ما» غير الخلاص الذي وعدتهم به الأحزابُ التي كانوا ينتمون إليها. بل لقد كانوا يبحثون عن «مصداقيّة» تسوّغ لهم خروجَهم من تلك الأحزاب، فراحوا يستقصونها في كلّ ما يُطرح من النّظريات والأفكار والأساليب الكفاحيّة الجديدة. وكانت دورُ النّشر في لبنان تلبّي هذا النّوعَ من الحاجات بحساسية تاجر عريق. فليس مستغرباً، والحالة هذه، أن يظهر بينهم من يتنطّح بالتّنظير للكفاح المسلّح، ويختار له زاوية في مقهى يقصدها بضعةُ «مريدين» يلبّون حاجةً من حاجاته النّفسية، ويشاركونه التّفكيرَ بمستقبل البشريّة المعذّبة، ويتعاطون معه نوعاً من أنواع المخدّرات (وكان يفعل ذلك أفراد منهم).

هذا على المستوى السياسي والإيديولوجي، أمّا على المستوى الأدبي فلم تكن ثمّة حركة ثقافيّة ذات شأن خارج هؤلاء الشّباب.

كان ثمّة اتّحادٌ للأدباء العراقيين صُفِّيَ منذ عام ١٩٦٣. وكانت ثمّة جمعيّةٌ ثقافيّة خاملة هي «جمعيّة الكتاب والمؤلّفين». وقد أصدرتْ وزارةُ الإرشاد مجلّةً ثقافيّة شهريّة هيمنتْ عليها مجموعةٌ من الأدباء والكتاب التّقليديين. وكانت هناك مجلّة شهريّة عامّة تصدرها شركة نفط العراق باسم **العاملون في النّفط**. ولم تكن هذه المجلّة تنشر النّصوص الأدبيّة (قصص ـ قصائد ـ مقالات) إلّا ترفاً منها ورغبةً من المشرفين على شؤونها. ومع أنّ بعض الصحف اليوميّة والأسبوعيّة كانت تصدر صفحاتٍ أدبيّةً، إلّا أنّ ما تنشره كان بائساً وهزيلاً. وباختصار، كانتْ هذه المنابرُ بلا حياة ولا حيويّة، إلا بمقدار ما ينشره فيها الأدباءُ الشّبان. فجميع ما يُنْشَر فيها لسواهم كلام رثٌّ هزيل لا يحظى من الشّبان بغير السّخرية والاشمئزاز. ولم يكن ثمّة أدباء مجدّدون أكبر منهم سنّاً ليتّصلوا بهم، أو يحاوروهم، أو يتعلّموا منهم. فبدر شاكر السّياب كان قد مات، وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة وبلند الحيدري وسعدي يوسف ونهاد التكرلي وغيرهم كانوا خارج العراق. وكان عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي وغانم الدّباغ ومحمود البريكان ومهدي عيسى الصّقر ومحمود عبد الوهاب وغيرهم منزوين صامتين. وحتّى لو كان أولئك كلّهم موجودين وفعّالين في الحياة الثّقافية، لما رضي الشّبان بما يسمعونه منهم ويقرأونه لهم. بل هم لم يكونوا راضين تمام الرّضا عمّا كان قد نُشِرَ لهم من أعمال سابقاً، ولا عمّا كان ينشره بعضُهم في الخارج من حين إلى آخر. كانوا يعتبرونهم رجالَ مرحلةٍ غبرتْ على الرّغم ممّا كانوا يكنونه لهم من الاحترام. وكانوا يوجّهون إلى كتاباتهم نقوداً مريرة، ويبحثون لأنفسهم عن آفاق جديدة يرودونها من دونهم. كان لهم «مزاج» آخر و«حساسية» أخرى. وكانت أنظارهم تتّجه إلى الخارج صوب «بيروت» وتلاحق أعداد مجلّة **شعر** ومجلة **حوار** وتتفاعل مع ما ينشر فيها من نماذج شعريّة (عربيّة وأجنبيّة) ومع ما يروّج على صفحاتها من أفكار. وصار كثير منهم يفضّل توفيق صايغ وأدونيس وأنسي الحاج، وربّما يوسف الخال وفؤاد رفقة، على السيّاب والبياتي وبلند الحيدري ونازك الملائكة. وكان لديوان **أغاني مهيار الدمشقي** ثمّ ديوان **كتاب التّحوّلات والهجرة في أقاليم الليل والنّهار** وكتاب **لن** وَقْعٌ كبير بينهم. وقد حاول بعضهم أن يقلّد قصائد **أغاني مهيار** القصار. وتلقّف بعضُهم الدّعوةَ إلى كتابة «قصيدة النّثر» بترحاب وتخلّى في كتاباته عن الوزن؛ بل إنّ أغلب من كتب قصيدةَ النّثر هذه لم يكن يعرف الأوزان أصلاً. أمّا القادرون منهم على القراءة باللغة الإنكليزية فراحوا يبحثون عن مبتغاهم في ما كانت تنشره دار «بنغوين» ودار «فيبر أند فيبر» من دواوين ومن مختارات من الشعر العالمي. وعرف هؤلاء الطريقَ إلى مجلّة **إنكاوتر** ومجلّة **لندن مغازين** الانكليزيّتيْن ومجلّة **پويتري** الأمريكية والملحق الأدبي لصحيفة **التّايمز** وغير ذلك من الصّحف والمجلات. ومن هؤلاء من تأثّر بشعراء البيتلز» الأمريكيّين وصار يقلّد لهجتهم الغاضبة وينظر إلى ألن غينزبيرغ وغريغوري كورسو ولورنس فرلنغيتي وجاك كيرواك بدهشة وإعجاب. ومن هؤلاء من كتب «قصائد ميكانيكية» وتحدّث عن «الشّعر الكونكريتي» و«قصائد الرسم» وعن شتّى التّقليعات التي يقرأ عنها أو يسمع بها. بل إنّ منهم من دعا إلى «تكعيب الشّعر»، وشغف بأدب اللامعقول وصار بيكيت ويونسكو ودورينمات من أحبابه المفضّلين. وإذا كانت المفهوماتُ الداديّة والسوريالية قد لقيت رواجاً بينهم، وصار تريستان تزارا وأندريه بريتون نجوماً بينهم، فقد صرنا نقرأ شعراً يصنع فيه التّلاميذ الكرفس الاصطناعي، ويتسلّق بقرةُ أعمدة التلفون، ويسافر جلده بالقطار من دون أن يقول للبروفسور: نعم!

خلاصة القول: إنّ هؤلاء الشّبان كانوا ينظرون إلى الشّعر وإلى الأشياء وإلى المفهومات بحساسية جديدة. كانت لهم روح جديدة

تدفعهم إلى البحث عن أشكال أخرى للكتابة. كانوا ميّالين للغرابة، نزّاعين للغموض، ضدَّ ما هو واضح، أو بسيط، أو مألوف. وكانت الكتابة بلغة جديدة همّاً من همومهم، ولهجتهم في الكتابة تنضح مرارةً وغضباً ورفضاً وتمرّداً. وكان لهم تعامل آخر مع الأدب والسّياسة والفكر والتّراث والحياة، يتّسم بروح الشّك والتّساؤل والتحفُّظ تجاه كلّ يقين. ويمكن القول ببساطة إنّهم كانوا «مختلفين» عمن سبقهم. كانوا مختلفين حتّى في نمط القراءة. لم يعد لوركا ونيرودا وناظم حكمت وبول إيلوار ومايكوفسكي يحظون عندهم بدرجة الإعجاب التي حظوا بها عند من سبقهم. ولم يكن أيٌّ من هؤلاء «نموذجاً» يستحقّ الاقتفاءَ عندهم. وأصبحت «الواقعيةُ الاشتراكية» وأدبُها شيئاً رثّاً متخلّفاً، ومن يتحدّث بها وعن أدبها دوغمائياً متحجراً. وحين ظهر كتاب **واقعية بلا ضفاف** لروجيه غارودي تلقّفوه بالرضا والثناء. بل إنّ كلّ الشّعراء والكتاب والفلاسفة الذين حظوا باهتمام من سبقهم أصبحوا أقلَّ أهمية لديهم، وإنْ ظلّوا يحتفظون بذكريات طيّبة عن بعض أعمالهم وكتبهم: **كالأرض الخراب والرجال الجوف وأربعاء الرّماد والرّباعيّات الأربع لإليوت، والوجود والعدم وما الأدب لسارتر، والغريب والطاعون لألبير كامو، واللامنتمي وسقوط الحضارة** لكولن ولسون، **والمسخ والمحاكمة** لكافكا، وغير ذلك.

إنّنا نذكر هذه الأسماء على سبيل التّمثيل قاصدين الإشارة إلى «منحى» و«مزاج»، لا أكثر. فلم يكن عجيباً والحالة هذه أن يُقبل هؤلاء على متابعة مجلّات مثل: **شعر وحوار، ثم مواقف**، وما تطرحه هذه المجلّات من أفكار ونماذج أدبية، مفضّلين إيّاها على مجلّات أخرى كانت قبل ذلك بسنوات منابرَ للجيل الذي سبقهم، وكانوا هم قد فتحوا أعينهم عليها ونشروا بواكيرَ قصائدهم على صفحاتها!

> فريقٌ منهم كانَ أقوى حصانةً من الآخرين تجاه «الموضات» الفكريّة والأدبيّة، وأكثر حصافةً في التعامل معها.

ولكنّ الحقيقة تستدعي القول: إنّ فريقاً منهم كان أقوى حصانةً من الآخرين تجاه «الموضات» الفكرية والأدبية وأكثر حَصافةً في التّعامل معها. وكان هذا واضحاً لا في المواقف فحسب، بل في ما كُتب من شعر ونثر أيضاً. وقد يحلو لبعضهم أن يصف هذا الفريقَ بأنّه «محافظ» أو «متحفّظ»، ولكنْ يحلو للفريق نفسه أن يصف هؤلاء بأنّهم «مقلّدون» و«أصحاب موضات»، ويؤكّد أنّ الانفتاح على الثّقافة الإنسانية يجب ألاّ يكون امتثالاً لها وضياعاً فيها، بل تلقّيها بوعي ومحاورتها وتحديد الموقف الخاص والخلّاق منها.

* * *

في هذه الأجواء بدأت بذورُ حركة السّتينات بالتفتّح، ومن هؤلاء خرج جيلٌ جديد من الشّعراء. فهل كان جيلاً جديداً حقّاً؟

بلى، كان جيلاً جديداً، ذاتياً وموضوعياً. ولا أهمية، في رأينا، لما يقال خلافاً لذلك، سواء أَصَدَرَ عن بعض أبناء هذا الجيل أم صدر عن سواهم. فهذا الجيل قد ظهر فعلاً، وتميّز عمّن سبقه وتلاه. ذلك أنّه يختلف في تكوينه الثّقافي والنّفسي عن جيل الرّوّاد الذي تكوَّن في ظروف الحرب العالميّة الثّانية وما تلاها من أحداث في العراق والوطن العربي والعالم. فهو، موضوعياً، غيرُ الجيل الذي تشكّل في ظل نظام ملكي شبه إقطاعي وتفتح وعيه في رحم الثّقافة التّقليدية وقيمها، وإنْ تمرّد عليها. وإذا كان ذلك لا يمنحه «امتيازاً» فإنّه ليضفي عليه «تميّزاً» ويجعله جيلاً جديداً مختلفاً في رؤيته الفنيّة وحساسيته الشّعرية.

وكان يكفي هذا الجيلَ من الناحية الذّاتية شعورُه بأنّه جيل آخر، ووعيُه بأسباب هذا الشّعور، وتعبيره عن هذا الوعي، لكي يكون جيلاً جديداً مختلفاً فعلاً، ويبدأ حركة جديدة. ثمّ إنّ هذا الجيل هو الذي رافق ظهور حركة الشّعر الحرّ (شعر التفعيلة) وتلقّاها وتتلمذ لها، وأصبح أخيراً (وبعد أن نضج نسبيّاً واتّسع اطّلاعُهُ على الآداب العالمية والحركات الشّعرية التي ظهرتْ في أوروبا خلال الربع الأوّل من القرن العشرين) ينقدها ويطمح إلى تطويرها. فهو بعد أن بلغ عشريناته في السّتينات أصبح قادراً ـ في أهم ممثّليه في الأقل ـ على أن يرجع إلى نفس المصادر التي تلقّى منها الرّواد معارفهم ومعلوماتهم الأوليّة عن التّجديد، ليكتشف حظَّ هؤلاء الرّواد من النّجاح أو الإخفاق في ما استفادوا منه، وأن يتجاوز هذه المصادرَ إلى سواها. وفي وسعنا، الآن مثلاً، أن نعدّد عشرات من أسماء شعراء العالم وأدبائه ممّن عرفهم الجيلُ الجديد (ونعني أهمّ ممثّليه) وقرأ لهم بلغتهم الأصلية، أو بلغة أجنبية أخرى (الإنكليزية غالباً)؛ في حين لم يكن جيل الرّواد قد قرأ لكثير منهم، أو قرأ لهم نتفاً صغيرة بسبب محدودية وسائله وضعف إمكاناته وواقع الظّروف الاجتماعيّة والسّياسية التي وجد فيها.

إذن فحركة السّتينات لم تهبط من السّماء، ولم تظهر حين ظهرتْ اعتباطاً، بل كانت حركة جيل شكّلته ظروفٌ ذاتيّة وموضوعيّة خاصّة. ولذلك لم تقتصر على الشّعر، بل شملت القصّة والنّقد والرّسم، ووسمتها بالسّمات نفسها.

وزيادة على ذلك لم تكن هذه الظاهرة، ظاهرة الجيل الجديد، محلية «عراقية» فحسب، بل كانت ظاهرة قوميّة «عربية»؛ وفي وسع المرء أن يتقصّاها ويحدّد شعراءها في سورية ولبنان ومصر وتونس والمغرب والبحرين مثلاً.

أدوار متباينة

ولكن ثمّة حقيقة لابدّ من الإشارة إليها، وهي أنّ أدباء الجيل الجديد لم يكونوا على الدرجة نفسها من الحيوية والموهبة والثّقافة والوعي والإنتاج والقدرة على الحركة والحوار والمناظرة. بل إنّ بعضهم كان يفتقر إلى الإحساس بانتمائه إلى هذا الجيل. ولذا كان

ثمّة من له دور ملموس في حركة الجيل، ومن لا دور له سوى إكمال ديكور المشهد السّتيني، وهذا ينطبق على كثير منهم. بل لقد كان في هذا المشهد غائبون حاضرون (محمّد خضير مثلاً) وحاضرون مدمنون هم غائبون دائماً.

وكانت أدوار ذوي الأدوار متباينةً هي الأخرى. فثمّة أدباء لا ينتجون أدباً جديداً فحسب، بل ينتجون أفكاراً ويحرّرون صفحاتٍ ثقافيّة وينشرون على صفحاتها نتاجاتهم ونتاجات زملائهم، ولهم في المناقشة والحوار صوت عال. وثمّة أدباء ينتجون أدباً جديداً، ولديهم أفكار يناقشونها في اللقاءات، ولكنْ ليست لهم صلةٌ بالصّحافة كزملائهم، ودورهم يتجسّد في إنتاجهم وأفكارهم التي يناقشون. وثمّة أدباء كانوا يحرّرون صفحات ثقافية ولا ينتجون أدباً يخرج على السّائد والمألوف (كخالد الحلي)، فكان دورهم أشبه بدور النّاشر. وثمّة من كانوا لا يحسنون سوى صناعة الكلام، ويمارسون تأثيراً ذا طبيعة إيديولوجية على بعض المريدين فيحشرهم هؤلاء في محشر الأدباء وهم ليسوا بأدباء.

وكم من صاحب دَوْر في السّتينات اختفى في السّبعينات وتلاشى دوره حتّى طواه النّسيان، أو أصبح مجرّد ذكرى تخطر للأصدقاء.

ولكنّ هؤلاء الذين اختفوا، وأولئك الذين بقوا، هم أبناء ذلك الجيل، سواء أكانوا من خميرته أم من عجينته. ولستُ أظنّ أنّ الجيل الذي سبقهم كان بمثل حيويّتهم واندفاعهم وعنادهم، ولا بمثل نَهمهم للثّقافة وحبّهم للمغامرة. لقد كان كلّ منهم يضع يده على جرحه ويمضي غير عابئ بنزيفه. كانوا جيلاً ذا قضيّة شعريّة، وقد قهر هذا الجيل كلَّ الظّروف التي أحاطتْ به لكي يبلغ بقضيّته النّجاح. كان جيلاً خلاّقاً بحقّ، شقّ طريقه بنفسه من دون أن يتّكئ على متّكأ، وصنع تجمّعاته ومنابره، وأفصح عن مفهوماته بقوّة وشجاعة وكفاءة.

اعتراضات واختلاطات

ولكن على الرّغم من ذلك كان هناك من يعترض على القول بظهور جيل شعري جديد. وكان المعترضون على ذلك ثلاثة: محسوب على جيل الرّواد، أو محسوب على الجيل الجديد، أو ضائع بين الجيلين.

وخلاصة رأي المعترضين أنّ الشّعر لا يُحدّ بالأجيال، وأنّ عمره لا يقاس بالسّنوات والعقود، بل بمدى صموده في الزّمان.

وواضح أنّ هذا الرّأي ينطلق من تشوّش لا مسوِّغَ له في النّظر إلى مفهوم الأجيال الشّعريّة، وهو تشوُّشٌ كان يقترن عند بعض الشّعراء بالخوف من المستقبل!

ولكن الأمر في حقيقته مختلف. فالقول بمسألة الأجيال شيء، وعمر الإبداع الشّعري شيء آخر، وليس ثمّة تعارض بينهما. فمما لاشكّ فيه أنّ الإبداع الشّعري لازماني في جوهره، وأنّ الأجيال لا يلغي بعضها بعضاً، بل يكمله، ويمهّد السّابقُ منها لظهور اللاّحق. ولكنّ تميّز جيل عن جيل آخر حقيقةٌ موضوعيّة لا يجدي نكرانها. فلكلّ جيلٍ ظروفٌ تاريخيّة واجتماعيّة وثقافيّة ونفسيّة ينشأ فيها، وتؤثّر مؤثراتها على تكوينه النّفسي والثّقافي، وتتدخّل بهذا القدر أو ذاك في تشكيل وعيه وحساسيته، وفي تحديد مواقفه واتّجاهاته، وبهذا كلّه يصبح مختلفاً عن غيره.

وليس شرطاً أن يكون هذا الاختلاف «أرجحية» لهذا الجيل أو ذاك، لأنَّ المُنْجَزَ الشعري هو الذي يقرّر هذه «الأرجحيّة». وفي هذه الحالة قد يكون الجيل السّابق هو صاحب «الأرجحيّة» على الجيل اللاحق، أو يكون العكس، وقد يكون لكلا الجيلين منجَزٌ ملموس، وقد يبذّ أحدُهُما الآخرَ بمنجزه أو لا يبذّه، ولكنّه يكمله في الحالتين ويغنيه.

إنَّ ظهور جيل جديد لا يؤدّي إلى تحوّل شعريّ بالضّرورة!

إنّ الانتماء إلى جيل شعري معيّن لا يعني شيئاً سوى الانتماء إلى حساسيته، ومفهوماته، ومنجزه. فما كلّ من ينتمي إلى جيل معيّن عمراً ينتمي إليه حساسيةً ومفهوماً ومنجزاً. فقد يكون في الجيل اللاحق من ينتمي في حساسيته ومفهومه إلى الجيل السّابق، أو إلى جيل أسبق منه، فلا يُحسب على جيله. وثمّة شعراء يقعون أحياناً بين جيلين، فمنهم من يتابع الجيلَ السابقَ ويظلّ متمسّكاً بمفهوماته، ومنهم من يلحق بالجيل اللاّحق ويتفاعل معه بحدود ما لديه من مرونة واستعداد. وكان هذا هو واقع الأمر بالنّسبة لأبناء الجيل السّتيني.

ذلك كلّه يجعلنا نشير إلى عامل حاسم يتدخّل في تحديد الأجيال والانتماء إليها، وهذا العامل هو الوعي وتجسّداته على مستوى المنجز الشّعري. فلا يكفي لولادة جيل جديد أن تكون ثمّة ظروف موضوعيّة مواتية، بل لابدّ، إلى جانب ذلك، من أن يعي الجيلُ الجديد ذاتَه، أي لابدَّ من أن يعي عددٌ من أبناء الجيل الجديد حقيقةَ كونهم جيلاً مختلفاً، ويجترحوا مفهوماتهم في ضوء هذا الوعي، ويجسدوها في منجزهم الشعري. ولذلك تتوقّف فاعليةُ كل جيل جديد على عمق وعيه، ومدى ما يمتلكه من مقدرة على بلورة مفهوماتٍ جديدة يدعمها منجَزٌ شعريٌّ جديد ملموس. فكلّما كان وعي الجيل الجديد أكثرَ عمقاً، وكلّما كانت مفهوماته أكثرَ تبلوراً وأقربَ إلى التعبير عن منجزه الشعري، كانت شخصيّةُ الجيل أكثرَ وضوحاً، وكان الجيل أكثرَ فاعلية، وكان التّحوّل الذي يحدثه أبعد غوراً.

ومن هنا يمكننا القول إنّ ظهور جيل جديد لا يؤدّي إلى تحوّل شعري ضرورةً. فمن الأجيال ما يعمق تحوّلاً بدأه جيلٌ سابقٌ عليه، ومنها ما يدخل «تحسينات» أو «تغييرات» طفيفة غير جوهريّة، ومنها ما يمرّ مرور عابر غافل يترسّم طريق من سبقه. وهذا يعني أنّ الجيل الجديد المؤهّل لإحداث تحوّلات شعريّة لا يُصطَنع اصطناعاً، بل يولد ولادةً: يولد من رحم المجتمع ومخاضاته وتحوّلاته، ويحمل

جيناته الوراثية، وجينات مرحلته وعصره، وإلاّ كان هجيناً أو مصطنعاً. فهو يولد حين يكون ثمّة حملٌ حقيقي، أمّا موعد ولادته فرهين بوقوع الحمل. لذلك نقول: إنّ مواعيد ولادات الأجيال الجديدة لا تتحكّم بها العقودُ الزمنية، بل مخاضاتُ المجتمع وتحوّلاته.

لقد فهم بعضُ الشّعراء والنّقاد أنّ تسمية الجيل الجديد الذي نتحدّث عنه هنا بـ «جيل السّتينات» تنطلق من تقسيم ميكانيكي للأجيال على أساس العقود الزمنية. وهذا خطأ محض. فقد انطلقت التّسميةُ من أساس آخر هو أنّ شعراء هذا الجيل بدأوا يقدّمون منجَزَهم الشّعري، ويطرحون مفهوماتهم، ويدعون إلى تعميق التّحوّل الذي بدأه جيلُ الرّواد، خلال السّتينات. وسواء سمّي هذا الجيل بهذا الاسم نفسه أم بغيره فإنّه لا ينفي وجوده بصفته جيلاً آخر، جيلاً جديداً ومختلفاً.

تسمية «جيل السّتينات» لا تقوم، إذَن، على أساس تقسيم الأجيال وفقَ العقود الزمنيّة. وليس شرطاً أبداً أن يظهر في كلّ عقد من الزّمان جيلٌ جديد، لأنّ ظهور أي جيل رهين، كما بيّنا، بحركة المجتمع وظروفه الموضوعية، وبإمكانية أنْ تتمخّض هذه الظّروفُ عن ولادة جديدة، كما حدث في السّتينات.

مجلّة شعر ٦٩

كنت أتمنّى، منذ أواسط الستّينات، إصدار مجلّة خاصّة بالشّعر، ولكن هذه الأمنية كانت بالنّسبة إليّ ضرباً من المستحيل قبل تمّوز ١٩٦٨. ذلك أنّني كنت معروفاً في أوساط وزارة الإرشاد باسمي وبانتمائي السّياسي، وقد فصلتني الوزارةُ من عملي في تشرين الثاني ١٩٦٣، على هذا الأساس، فكيف تعود فتمنحني امتيازَ إصدار مجلّة؟!

حين حدث التغيير في العراق عادتْ إليّ فكرةُ إصدار المجلّة، وصرتُ أتحدّث بها في لقاءاتنا فأتلقّى تشجيعاً وحماسة. وكان أوّل المتحمّسين لها والمستعدّين للتعاون معي على تحقيقها صديقي الشّاعر خالد علي مصطفى.

لقد اقترنتْ عودةُ هذه الفكرة بنموّ وعي خاص لديّ وانبثاق أسئلة جديدة حول الشّعر، مع الإحساس بحاجة حركة الشّعر نفسها إلى «مكاشفة حقيقيّة ومراجعة جريئة» والإجابة على أسئلة كثيرة «إجابةً واعية وصريحة». وهذا ما كتبته في مجلّة ألف باء/ العدد ١١/ الصّادر في ٤/ ٩/ ١٩٦٨. ولذا لم تعد فكرتي هذه قابلةً للتأجيل.

وعلى الرّغم من أنّ تحقيق الفكرة كان يتطلّب «مالاً» لا طاقة لي ولخالد على توفيره، فقد قرّرنا أنْ نخوض المغامرة، معتمدين على ما نستطيع اقتطاعَه من راتبَيْنا الضئيلين، وما يمكننا جمعه من أصدقائنا المؤازرين. وكانت مجلّة الكلمة مهمّتنا في هذا المجال.

وهكذا تقدّمنا، أنا وخالد، بطلبٍ إلى وزارة الإرشاد للحصول على امتياز إصدار المجلّة: أنا بصفة صاحب الامتياز، وخالد بصفة رئيس تحرير. وحملنا الطلبَ إلى وكيل الوزارة، وهو يومئذ المرحوم الشّاعر «شاذل طاقة».

رحّب الرّجلُ بالفكرة، ووعد بالمعاونة إلاّ أنّه نبّهنا إلى مسألة قانونيّة لم نكن نعرفها، وهي أنّ قانون المطبوعات يشترط أن يكون صاحب الامتياز ورئيس التحرير عراقيين، وهذا لا ينطبق على خالد علي مصطفى.

لهذا اضطررنا إلى التفكير بشخص ثالث ينضمّ إلينا، فوقع اختيارنا على فاضل العزّاوي. وحينَ عرضنا عليه الأمرَ وافق بحماسة، وأكّد استعداده للتعاون معنا، وعند ذاك تقدّمتُ بطلب جديد للحصول على الامتياز، فصدرت الموافقةُ عليه، وصدر كتاب رسمي بذلك يحمل الرّقم ٣١٦٩ بتاريخ ١٥/ ٢/ ١٩٦٩.

وبناءً على ذلك نشرتُ في مجلّة ألف باء التي كنتُ أحرّر صفحاتها الثقافيّة خبرَ حصولنا على الامتياز، وأوضحتُ في هذا الخبر هدفَ المجلّة، والمهمّاتِ التي انتدبتْ نفسَها لها. فهي مجلّة «تهتمّ بقضايا الشّعر المعاصر، وتعمل على تطويره، وتجديد عوالمه، وتبنّي كلّ المحاولات التجديديّة الرّصينة، والتفتّح على كلّ الاتّجاهات القادرة على تقديم عطاء عصري يتبنّى هموم الإنسان وأزمته في العالم» (ألف باء/ العدد ٣٤/ في ١٩/ ٢/ ١٩٦٩).

ولكنْ ما إن بدأنا الاستعدادَ لإصدار العدد الأوّل حتّى أرسل رئيسُ المؤسّسة العامّة للصحافة في طلبنا (أنا وفاضل) وعرض علينا عند لقائنا به إصدارَ المجلّة عن المؤسّسة وعلى نفقتها. فما كان منّي إلاّ أنْ رفضتُ العرضَ وأوضحتُ له أنّ لدينا أفكاراً ومفهومات خاصّة حول الشّعر وقضاياه قد لا تحبّذها المؤسّسةُ أو لا تطيق تحمّل مسؤوليّاتها. غير أنّ الرّجل (وهو السيّد منذر عريم) وعدنا بأنّنا سنكون أحراراً في ما نكتبه وننشره فيها، وبأنّ المؤسّسة لن تتدخّل في شؤون تحريرها.

وعلى الرّغم من ذلك، فإنّي لم أوافقه. وحين بيّنتُ له استحالةَ أن تصدر المجلّة عن المؤسّسة (وهي رسميّة) بهذه الدرجة من الحرّيّة، حَشَرَنا في زاوية ضيّقة جدّاً، ووضعنا أمام خيارين كلاهما مرّ: فإمّا أن نترك عملنا في مجلّة ألف باء، أو نوافق على طلبه، مستنداً في ذلك إلى حجج قانونيّة لم نكن نفقه منها شيئاً.

وبعد أخذ وردّ بيننا، ولقاءات ثلاثة معه، ومناقشات استغرقتْ أكثرَ من شهر، وجدنا أنّ أقلّ الخيارين مرارةً هو الرّضوخ للأمر الواقع، فرضخنا طمعاً في إخراج مشروعنا إلى حيّز الوجود، معلّلين أنفسنا بوعد «الحرّيّة» الذي قطعه على نفسه رئيسُ المؤسّسة.. كلّ هذا وخالد علي مصطفى واحدٌ منّا في العمل وفي المسؤوليّة الأدبيّة، لا نبحث شأناً من شؤون المجلّة إلاّ وهو معنا.

وما إنْ شرعنا بالعمل حتّى أرسل رئيسُ المؤسّسة في طلبنا مرّة أخرى، وأبلغنا بأنّني لا يجوز لي قانوناً أن أكون رئيس تحرير المجلّة

بعد أن تقرّر إصدارُها عن المؤسَّسة. فأنا لست موظّفاً فيها، بل مجرّد محرّر خارجي في إحدى مجلاّتها (ألف باء). وعندئذ أوجد لنا مخرجاً شكليّاً هو: أن تكون صفتي «مشرفاً على التّحرير» وأن يبقى فاضل العزّاوي (وهو موظّف في المؤسَّسة) بصفة سكرتير التّحرير. وهكذا، وبصفة «المشرف على التّحرير» كنتُ أقوم فعليّاً بمهمّات رئيس التّحرير، ولم يكن ثمّة رئيس تحرير آخر.

كنتُ أقوم فعليّاً بمهمّات رئيس تحرير «شعر ٦٩»، مع أنَّ فاضل العزّاوي كانَ رئيس تحريرها... بالاسم!

عندئذ أعلنتُ في الصّفحات الثقافيّة في ألف باء عن قرب صدور المجلّة، ووجّهتُ نداءً إلى الشّعراء والكتّاب للمشاركة في الكتابة إليها ودعمها، وأكّدتُ أنَّ من أهداف المجلّة «إعادة تقييم تراثنا الشّعري وفق منطلقات نقديّة جديدة» و«دراسة الحركة الشعريّة التي بدأها جيلُ السيّاب والبيّاتي» دراسةً نقديّة واعية لهدم «الجوانب السلبيّة والمتخلّفة فيها».. «ومدّ الجوانب الإيجابيّة بعناصر القوّة والتطوّر والحداثة الحقيقيّة.. إلخ» (ألف باء/ العدد ٣٨/ ٢٦/ ١٩٦٩).

بعد هذا الإعلان واصلنا العمل من أجل إصدار العدد الأوّل، فأسهم كلّ منّا (أنا وفاضل وخالد) بقسط فيه، جهداً وكتابة. قرأنا موادَّه، وبوّبْناها، وعاوننا فوزي كريم وكتب، وتطوّع ضياء العزّاوي لرسم غلافه وتخطيطاته الدّاخليّة، وحام حولنا أحمد خلف بحثاً عن دَوْرٍ له، حتّى صدر العدد الأوّل في مطلع مارس ١٩٦٩. فكانت أوّل مجلّة شعريّة تصدر في العراق، ولم يصدر غيرها حتّى كتابة هذه السُّطور.

* * *

صدر العدد الأوّل من مجلّة شعر ٦٩ وفي مقدّمته نصّ نظري بعنوان «البيان الشعري». وقد وقّع هذا البيان أربعة شعراء هم: فاضل العزّاوي وخالد علي مصطفى وفوزي كريم وكاتب هذه السّطور.

لم يكن في نيّتنا إصدارُ هذا البيان في أيّة مرحلة من مراحل أعداد العدد الأوّل. ولكنّنا فكّرنا حينئذ بضرورة كتابة «تقديم» للمجلّة، فاقترح خالد علي مصطفى أن يكتب هذا «التقديمَ» فاضل العزّاوي. ذلك أنّنا كنّا قد تقاسمنا العمل في ما بيننا، فكتبتُ دراسةً عن الشّاعر التشيكي «ميروسلاف هولوب» وكتبتُ التقارير الخاصّة بالحركة الشّعريّة في العراق، وكتب خالد دراسةً في موضوع تراثي عنوانها «من ناقة طرفة إلى بقرة لبيد» وكتب تقريراً عن الشّعر الفلسطيني بعنوان «من شعر الاحتجاج إلى شعر المقاومة». أمّا فاضل فكتب التقارير الخاصّة بحركة الشّعر في العالم، وقدّم للنشر عدداً من قصائده، فكان عدلاً، من وجهة نظر تقسيم العمل، أن يكتب هو نفسه «التقديم» المقترح.

وبناءً على ذلك تداولتُ مع فاضل حول النقاط الأساسيّة التي أرى أن يتناولها التقديم، وأهمّها العلاقة بين الشعر والسّياسة، والتراث والمعاصرة، وداخل الشّاعر وخارجه، وشكل القصيدة وقوانينها، وجميعها نقاطٌ خضنا حولها في لقاءاتنا اليوميّة المستمرّة نقاشات طويلة قرّبت واحدنا من الآخر، فالتقينا حول نقاط كثيرة، واختلفنا حول نقاط أخرى كنّا نعتبرها (أنا وخالد) من اندفاعات فاضل العزّاوي وبِدَعِه.

إذن فقد كان على فاضل أن يكتب «تقديماً» للمجلّة الجديدة يتناول النقاطَ المشارَ إليها، لا أن يكتب «بياناً شعريّاً». وكان علينا أن نلتقي، نحن الثلاثة، لمراجعتها مع موادّ العدد الأوّل مراجعةً نهائيّة قبل دفع هذه المواد إلى المطبعة. وهكذا التقينا في القسم الشتوي من مقهى «ياسين» في ليلة من ليالي الأسبوع الأوّل من نيسان ١٩٦٩.

كنّا نجلس على تخت واحد من تخوت المقهى: فاضل عن يميني وخالد عن يساري. ولم تكن مراجعة المواد تتطلّب وقتاً طويلاً، فقد كنّا على معرفة بها واطّلاع عليها، والمادّة الوحيدة التي لم نكن قد راجعناها حتّى ساعة ذلكَ اللّقاء هو «التقديم». فشرعنا في قراءته، وما إن فرغنا منه حتّى صاح خالد بصوته الجهوري وحماسته المحبّبة «هذا مانيفستو.. لا مقدّمة» ثمّ أضاف «لماذا لا نتبنّاهُ على هذا الأساس؟».

ويبدو أنَّ حماسة خالد قد انتقلتْ إلينا وأطلقتْ فينا شرارةً لم نتحسّب لها. ولكنّ نفوسنا كانت مستعدّة لاستقبالها، فغلبتنا. وهكذا قمنا بإعادة قراءة النصّ، بروح الشعور بالمسؤوليّة، فأجرينا عليه تعديلات طفيفة، ثمّ وقّعناه من دون تردّد كثير وسمّيناه بالاسم الذي ظهر فيه: «البيان الشعري».

قلت «وقّعناه»، وأعني بذلك أنا وفاضل وخالد. أمّا فوزي كريم فلم تكنْ له أيّة علاقة بمشروع المجلّة، ولا بالتقديم، وكلّ ما هنالك أنّه كان صديقنا، وكنّا قد كلّفناه بأن يسهم معنا في كتابة التقارير والعروض، وأمّا علاقته بالبيان فهي بنت ساعتها؛ ذلك أنّه كان موجوداً في المقهى ساعة قراءة المواد، وكان يجلس على تخت غير بعيد عنّا، فناديناه، وعرضنا عليه فكرة التوقيع على «البيان» فأخذ النصّ وقرأه ووقّع عليه من دون تردّد أو إبداء أيّة ملاحظة، ولو لم يكن ساعتها موجوداً لكانت علاقته بالبيان غير التي عُرفت عنه.

يتّضح ممّا تقدّم أنّ «البيان الشعري» لم يكن في أصله «بياناً» بل كان شيئاً آخر. كان «مقالة» لها عنوان غير هذا العنوان: عنوان من ستّ كلمات أو سبع على ما أذكر. وقد قرأناه، أنا وخالد، على أساس أن يكون «تقديماً» للمجلّة لا غير. وهو لم يُكتب بمعزل عن حواراتنا اليوميّة ومشاوراتنا ومفهوماتنا المشتركة، بل كُتِبَ في ضوئها، وانطلق من صحيحها. فنحن لم نجئ من جهات متباعدة، ولم نلتقِ لقاءَ مصادفة، بل كنّا أصدقاءَ نعمل في مجلّة واحدة هي

مجلّة ألف باء، وكانت بيننا لقاءاتٌ يوميّة في المجلّة وخارج المجلّة، وكان مقهى «ياسين» مأوانا اللّيلي وكنّا ننطلق من هذا المقهى، يوميّاً، إلى دُور عَرْض الأفلام السينمائيّة. ونحن لم نكن «تلاميذ» في «مدرسة» فاضل العزّاوي، بل كنّا أنداده وأكفاءه، ودوْرُنا في الستينات مشهود، وآراؤنا ومفهوماتنا مبثوثة في الكثير من المقالات التي كتبها كلٌّ منّا، قبل ذلك، وأثناءه، وبعده. إذن، لم نكن جُوفاً فتبعناه، ولا سُذَّجاً فغرَّرَ بنا. بل كنّا، أنا وخالد، صاحبيْ رأي وهَمٍّ، وهو ما دفعنا إلى التفكير بإصدار مجلّة شعريّة قبل أن يفكّر بها فاضل ويُدعى للمشاركة في مشروعها.

* * *

ربّما لم يكن الكثير من التفاصيل التي مرّ ذكرها حول مجلّة شعر ٦٩ و«البيان الشعري» ضروريّاً، لو لم تعقب ذلك أوهامٌ وتقوّلات حول دور فاضل العزّاوي في مشروع المجلّة، ودورنا في «البيان الشعري».

لقد كانت وراء تلك الأوهام والتقوّلات غاياتٌ غير نزيهة حاولتْ أن تملأ الصورةَ بفاضل العزّاوي وتطردنا نحن إلى حواشيها. فقد كانت اندفاعاتُ العزّاوي وبِدَعُه تُستخدم في الإساءة إلى مشروعنا الرّصين والتأليب ضدّه. وكان هذا يروق للعزّاوي على ما يبدو، لما فيه من تضخيم لدوْره وتعزيزٍ لشهرته؛ ولا أستبعدُ أنّه كان يروّج له أو يوحي به أينما حلّ.

وممّا يؤكّد انطباعنا هذا أنّه قال في حديث له لمجلّة **الأفق** التي تصدر في قبرص ما يأتي:

ومثلما حدث مع «قصائد ميكانيكية» كان الأمرُ مع «البيان الشعري» في العام ١٩٦٩ والذي كتبتُهُ أساساً ليُنشر كبيان شعري باسمي في مجلّة «شعر ٦٩» التي كنتُ قد قرّرت إصدارها مع الشّاعر العراقي سامي مهدي. وكان سامي مهدي وخالد علي مصطفى قد تحمّسا كثيراً للبيان، وعرضا عليَّ التوقيعَ عليه فوافقتُ. وعند ذلك قمتُ بتغيير كلمة واحدة في البيان هي «إنّني» التي أصبحت «نحن».. (الأفق/العدد ١٣٦/١٩ شباط ١٩٨٧).

ففي هذا الذي يذكره فاضل العزّاوي تجاوُزٌ على الحقيقة وانحيازٌ لذاته كان يحسن به أن يتجنّبه. فقد جعل من إصدار مجلّة **شعر ٦٩** قراراً شخصيّاً خاصّاً به، ثمّ ألحقني بمعيّته متفضّلاً، وهو يعلم علم اليقين أنّ العكس هو الصحيح، وأنّه لولا العقبة القانونيّة التي اعترضتْ طريقَ خالد، لما كانت له، أي لفاضل، صلة مباشرة بالمجلّة.

والعزّاوي يعرف جيّداً أنّني صاحب فكرة المجلّة، وأنّ امتياز إصدارها قد صدر باسمي؛ وحتّى حين أَجْبَرَنا رئيسُ المؤسّسة العامّة للصحافة على إصدارها عن المؤسّسة صرتُ «المشرف على تحريرها» على نحو ما رويتُ، ولم يكن يُنشر فيها شيءٌ إلّا بموافقتي. وخير ما يؤيّد ذلك الوثائق الرسميّة، والأخبار التي نُشِرتْ قبل صدور المجلّة، فلماذا يحيد العزّاوي عن الحقيقة؟

أمّا «البيان الشعري» فهو لم يكن «بياناً» ولا كان ثمّة تفكير بإصدار «بيان»، شخصيّاً كان أم جماعيّاً. فالبيان كان «مقالة» لها عنوان آخر، تدلّ على ذلك صياغتُها اللّغويّة وأسلوبها. وقد اكتسبتْ عنوانها الذي صدرتْ به بناءً على البارقة التي برقتْ في ذهن خالد علي مصطفى. أمّا حكاية استبدال «إنّني» بـ«نحن» فهي حكاية مضحكة، لأنّ البيان لم يُكتب بصيغة خطابيّة كالتي تُكتب بها البياناتُ، وليس في نصّه «إنّني» يمكن استبدالها بـ«نحن». وسواء كانت نيّة فاضل أن تُنشر المقالة باسمه وحده، أم باسم المجلّة، فإنّها لم تكتب إلّا بناءً على تكليفنا إيّاه بكتابة «تقديم» للمجلّة، وإنّها لم تكتب بمعزل عن حواراتنا ومداولاتنا اليوميّة التي سبقتها. وكيف كنّا سننشرها باسمه، وقد دفع للنشر في العدد نفسه مجموعةً من قصائده؟!

فاضل العزّاوي جعل من إصدار «شعر ٦٩» قراراً شخصيّاً خاصّاً به، ثمّ ألحقني بمعيّته متفضّلاً!..

لا أحد يودّ أن ينكر أنّ العزّاوي هو الذي كتب «البيان»، ولكن مادمنا قد وقّعنا عليه جميعاً، فإنّنا مسؤولون عنه جميعاً بالدرجة نفسها. وإذا كنّا قد وقّعنا على بيان هو كاتبه، فقد كان في وسع أيّ منّا أن يكتب مثله لو كانت النيّة متّجهة أصلاً إلى إصدار بيان. وبماذا جاء البيان غير مفهومات كانت شائعة بين العديد من شعراء جيلنا، فجُمِعَتْ ونُسِّقَتْ ووضعت في إطار؟

وفي كلّ الأحوال يبقى «البيان» واسمُ كاتبه مسألةً شكليّة. فالمهمّ في الأمر ليس «البيان» في حدّ ذاته، بل صعود جيل جديد من الشّعراء له أفكار ومفهومات وتطلّعات مختلفة. وقد عبّر هذا الجيل عن نفسه بوسائل شتّى كانت مجلّة **شعر ٦٩** إحداها، وكان «البيان الشّعري» مظهراً من مظاهرها. فقد سبقت البيانَ كتاباتٌ عديدة، لي ولفاضل ولخالد ولفوزي، ولغيرنا وهم كثر، سواء ما نشر منها في جريدة **صوت العرب** أو في جريدة **الثّورة العربيّة** أو مجلّة **ألف باء** أو مجلّة **الكلمة** أو غيرها. وقد كتبت في العدد الأوّل من مجلّة **شعر ٦٩** نفسها شيئاً بهذا المعنى (ص ١٠٣ ـ ١٠٤).

إنّ مجلّة **شعر ٦٩** لم تكن تمثّل نفسها، أو المسؤولين المباشرين عنها، بقدر ما كانت تمثّل الجيلَ الذي اتّخذها وسيلةً لنشر نتاجه الإبداعي، ومنبراً للتعبير عن أفكاره ومفهوماته وتطلّعاته. إنّها مجلّة جيل كامل من الشّعراء قبل أن تكون مجلّة أشخاص معينين. وما نقوله هنا عن المجلّة ينطبق على «البيان الشعري» مهما تباينتْ مفاهيمُ الشّعراء واختلفت؛ فالبيان لا ينسخ الشعراء، بمن فيهم الموقّعين عليه، بنسخة واحدة، ولا يطمس خصوصيّاتهم الفكريّة والإبداعيّة. وهذا ما قلناه في العدد الأوّل من المجلّة (ص ١٠٤) وهو العدد الذي نشر فيه نصُّ البيان.

على أنّ هذا لا يلغي أدوار الأشخاص، ولا يقلّل من شأن

مبادراتهم وفعاليّتهم، ولكنّه لا يمنحهم حقّ الاستئثار والتفرّد ومصادرة أدوار الآخرين. وهذا ينطبق علينا جميعاً (أنا وخالد وفاضل وفوزي) مثلما ينطبق على غيرنا.

* * *

أحدثت مجلّة شعر ٦٩ عند صدورها دويّاً هائلاً لم نكن نتوقّعه، وثارت من حولها ضجّة كبيرة واسعة، انقسم فيها الأدباءُ إلى جبهتين: تتدرّج أولاهما من العداء المطلق والعداونيّة السّافرة إلى الخلاف الموضوعي والنقد الهادئ، وتتدرّج الثانية من التبنّي الكامل والدّفاع الحماسي إلى التعاطف الخجول والتشجيع الشفوي.

وقد استخدمت الجبهةُ الأولى كلّ ما لديها من أسلحة ومنها السخرية والتشويه والتزييف والاتّهام والتحريض والاستعداء. ولم تكن الجبهة الثانية بأقلّ حدّة في الدّفاع عن نفسها وكشف خصومها.

وكلّ ذلك مدوَّنٌ في كتاباتٍ كنتُ أحرص على عرضها والردّ عليها في أعداد المجلّة نفسها وأعني: الثاني والثالث والرّابع.

أجل، كانتْ ضجّة كبيرة اشتركتْ فيها صحفٌ ومجلّات وقوى سياسيّة، زيادةً على الأفراد. ولابدَّ أن نذكر هنا أنّ كلّ الذين هاجموا المجلّة كانوا ينتمون إلى الماضي وقيمه وتقاليده، ويدافعون عن مواقع هشّة ومتداعية لعلّها كانتْ آخر ما تبقّى لهم. أمّا الذين تبنّوا المجلّة ودافعوا عنها فكانوا ينتمون إلى المستقبل، وهذا ما أكّدته الأحداث في ما بعد في الجبهتين كلتيْهما.

فحين نراجع ما كتب في الصّحف والمجلّات يومئذ، لا نجد بين من هاجموا المجلّة والبيان والموقّعين عليه أديباً واحداً أصبح ذا شأن حقيقيّ في عالم الأدب. ولكنّنا نجد، في المقابل، أنّ الذين تبنّوا المجلّة، أو ساندوها، أو تعاطفوا معها، هم شعراء المستقبل وأدباؤه وكتّابه، بمن فيهم الذين سكتوا في ما بعد، أو توقّفوا عن الكتابة. وكان أبرز هؤلاء الشّاعر حميد سعيد. فقد كتب ثلاثة أعمدة صحفيّة في جريدة الثورة، دافع فيها عن المجلّة، وكشف طبيعة خصومها، وفضح دوافع الحماسة المناوئة لها. كما كتب في مساندة المجلّة كلٌّ من: حميد المطبعي وطراد الكبيسي وعبد الرحمن طهمازي وحسين عبد اللّطيف ونزار عبّاس ومؤيّد الرّاوي وفاضل عبّاس هادي، وغيرهم كثير.

أمّا في الوطن العربي، فقد استُقْبِلَت المجلّةُ والبيان الشعري باهتمام وترحاب، وظهرت حولهما كتابات كثيرة، لم يصلنا إلاّ بعضها. وممّن كتب عنها غالي شكري (في جريدة الأهرام) وأدونيس (في مجلّة مواقف) وممدوح عدوان (في جريدة الثّورة). وكرّست إذاعة القاهرة برنامجاً أمده نصف ساعة للحديث عن المجلّة وبيانها وعددها الأوّل.

على أنّ حملة العداء والاستعداء هذه لم تمرّ بسلام. فقد أحرجت رئيسَ المؤسَّسة العامّة للصحافة، لاسيّما حين كتب أحد كتّاب جريدة الثّورة كلمة ذكر فيها أنّه ليس ضدّ المجلّة، ولكنّه ضدّ أن تصدر عن المؤسَّسة، لأنّها، حسب رأيه، لا تعبّر عن الالتزام العقائدي.

لقد وجد رئيسُ المؤسَّسة نفسه بين نارين، كما أتصوّر الآن. فهو من جهة كان يحرص على المجلّة، ويريد لها الاستمرار، ولا يريد التدخّل في شؤونها وفاءً للوعد الذي قطعه لنا؛ وهو من جهة ثانية إزاء حملة شعواء تفرض عليه اتّخاذَ إجراءٍ ما يُسكت الحملةَ أو يخفّف من غلوائها. ولعلّه ظنّ أنّ الحملة ستتوقّف، أو تخفّ، بمرور الأيّام. ولكن هذا لم يحدث؛ فقد استمرّتْ، وتصاعدتْ، ودخلتْ فيها قوى سياسيّة، وامتدّ شررها إلى عدّة أقطار عربيّة. فما كان منه إلاّ أن استدعانا بعد صدور العدد الثالث، ليبلغنا بأنّه سيسمّي صديقنا الشّاعر حميد سعيد رئيساً للتّحرير.

ولابدَّ أن أذكر هنا أنّنا كنّا قد تعبنا من «الهراش» وسئمنا الأساليب التي اتّبعت فيه، وبلغ إحساسُنا بالمرارة حدّاً لا يطاق. ولعلّ هذا ينطبق عليَّ أكثر ممّا ينطبق على سواي. فقد خرج فوزي كريم من المعمعة مثلما دخل، ولم يسهم خالد علي مصطفى في الردّ على الحملة أيَّ إسهام، واضطر فاضل العزّاوي إلى السّكوت بسبب هشاشة موقفه؛ فكنت لهذا السّبب أصاول وحدي، وأردّ وحدي على كتابات الخصوم، في مجلّة شعر ٦٩ نفسها، وفي مجلّة ألف باء.

وبناء على ذلك، ولأنَّ الشّاعر حميد سعيد صديق أثير نعرف موقفه ومشاعره، ولأنّنا لمسنا تعاطفه معنا في كتاباته المتكرّرة، فقد استقبلْنا تسميته رئيساً للتّحرير برضى وارتياح. وقد أبلغني حميد بعد ذلك بسنوات طويلة أنّه قبل هذه التسمية تجاوباً مع إلحاح رئيس المؤسَّسة، وتغطيةً للمجلّة، وتعاطفاً مع مشروعها، على الرّغم ممّا كان له من آراء خاصّة.

أُوقِفَت المجلّة عن الصدور بعد ٤ أعدادٍ فقط... بقرارٍ من وزارة الإرشاد!

ظهر اسم حميد سعيد رئيساً للتّحرير في العدد الرّابع من المجلّة، وهو عددها الأخير. وتقتضي الأمانة للتّاريخ أن أذكر أنّ حميد لم يمارس دور رئيس التّحرير، اعتزازاً بنا، واحتراماً لموقفنا، واكتفى بأن حضر مرّة إلى مبنى المؤسَّسة، فعرضتُ عليه ملفّاً يتضمّن مواد العدد الرّابع، فقرأ عناوينَ المواد وأسماءَ كتّابها، وسألني عمّا إذا كنت قد قرأتها، فلمّا أجبته بالإيجاب، قال: إذن ليست بي حاجة لقراءتها، وأعاد تسليمها إليّ في ساعتها.

بعد صدور العدد الرّابع، أوقفت المجلّةُ عن الصدور. فقد كانت وزارة الإرشاد تعمل على إعادة تنظيم الصّحافة وإصدار قانون جديد للمطبوعات، فصدر أمر بإلغاء امتيازات صحف ومجلّات عديدة كان من بينها مجلّة شعر ٦٩. وبذلك وئد هذا المشروعُ/الشّابّ الطّموح في مهده. وعندئذ خفتت الحملةُ، وتبدَّدَ صداها، وراح الكثيرون يتنصّلون من مسؤوليّة إسهامهم فيها، ولكنَّ المجلّة كانت قد أصبحت

شيئاً من التّاريخ. (ثمّة تفاصيل أخرىٰ في مجلّة **آفاق عربيّة**/ العدد ٨/ آب ١٩٨٥).

* * *

نهجت مجلّة شعر ٦٩ المنهج الآتي:

١ ـ تقديم شعراء الجيل الجديد في نصوص شعريّة حديثة من دون انحياز لاتّجاه محدّد سوى «الجدائة» بمفهومها العامّ. فنشرت قصائد لكلّ من: سامي مهدي وفاضل العزّاوي وخالد علي مصطفى وحميد سعيد وياسين طه حافظ وفوزي كريم وعبد الأمير معلة ومالك المطلبي وآمال الزهاوي وحسين عبد اللّطيف وحميد الخاقاني وخالد الخشّان وصلاح فائق سعيد وفاضل عبّاس هادي ويحيى صاحب السماوي.

٢ ـ لم تحاول المجلّة قطعَ الجسور مع شعراء الجيل السّابق ولا الشعراء الذين كتبوا في أكنافهم. فنشرت قصائد لكلّ من عبد الوهاب البيّاتي وأدونيس وخليل خوري ورشدي العامل وزهير أحمد القيسي وزكي الجابر. وكان صراعها مع قيم هذا الجيل يقوم على أسس من البحث والدراسة والنّقد.

٣ ـ نشرت المجلّة دراسات وتقارير وعروضاً حول واقع الشّعر في العراق والوطن العربي، وقدّمت نظرات جديدة في تراثنا الشّعري، وفتحت الباب على مصراعيه للنّقد والحوار. فكتب في ذلك كلّ من: خالد علي مصطفى وطراد الكبيسي وعبد الرّحمن طهمازي ويوسف الصّائغ وعبد الجبّار عبّاس وأحمد خلف، وغيرهم.

٤ ـ فتحت المجلّة نوافذ شتّى على حركة الشّعر في العالم فنشرت عنها دراسات وتقارير ومقابلات ووثائق، من دون تبنّ أو انحياز، وأسهم في ذلك كلّ من فاضل العزّاوي وحسب الشّيخ جعفر وسامي مهدي وعلي الشّوك وجليل القيسي وفاضل عبّاس هادي وغالي شكري.

مجلة «شعر ٦٩» كانت أوّل مجلّة شعريّة في العراق وصاحبة أوّل مشروع شعري وشهادة ميلاد الجيل الشّعري الستّيني في العراق!

٥ ـ حاولت المجلّة أن تقيم جسوراً مع الحركة التشكيليّة الناميّة في العراق فعهدت لفنّانين تشكيليّين برسم أغلفتها، وتعهّدت لهم بنشر تخطيطاتهم وكتاباتهم إن كانت لديهم كتابات، فأسهم من هؤلاء كلّ من: ضياء العزّاوي وطالب مكّي وابراهيم زاير ونوري الرّاوي.

٦ ـ حرصت هيئة التّحرير على طبع المجلّة بمستوى فنّي مرموق، وكان عملها في التّحرير يقوم على مبدأ «التّوازن» في كلّ شيء: فهي تتابع حركة الشّعر في الوطن العربي وفي العالم مثلما تتابع حركة الشّعر في العراق. وهي تدرس الشّعر المعاصر مثلما تدرس التراث.

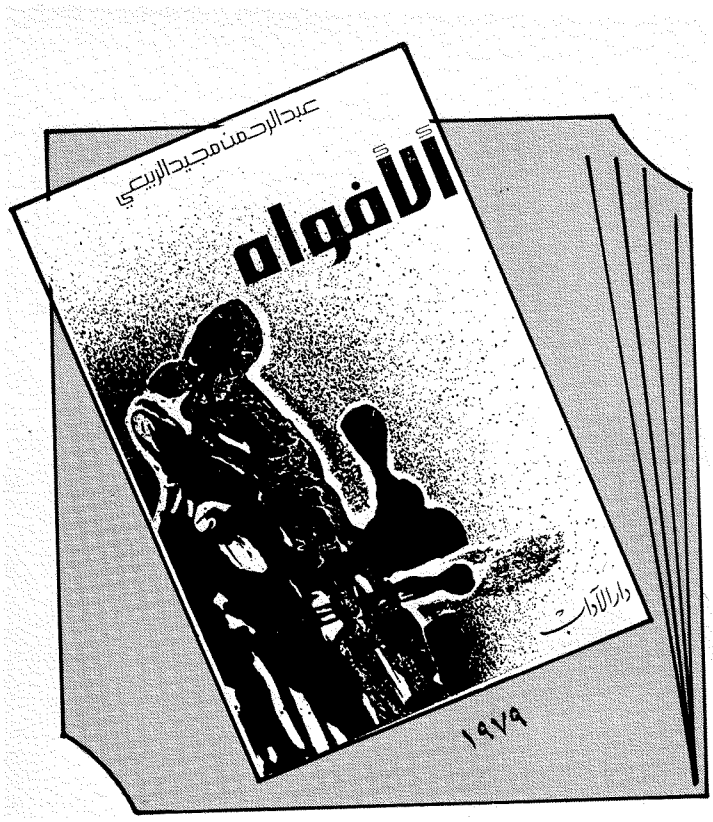

وهي تنشر القصيدة مثلما تنشر المقالة، والبحث، والعرض، والتقرير، والوثيقة.

* * *

وبعد، فما هي قيمة هذه المجلّة التّاريخيّة والأدبيّة؟

يمكن تلخيص ذلك في النقاط الآتية:

١ ـ إنّها كانت أوّل مجلّة شعريّة صدرتْ في العراق، وكانت مجلّة رفيعة على المستويات الفنّيّة والصحفيّة والطباعيّة، ولا نغالي إذا قلنا إنّها أدخلت تقاليد جديدة إلى الصّحافة الأدبيّة في العراق.

٢ ـ إنّها نشرت أوّلَ بيان شعري في تاريخ حركة الشّعر في العراق والوطن العربي، وكان هذا عملاً جريئاً في حدّ ذاته، حاول آخرون تقليده في ما بعد.

٣ ـ إنّها انطوت على مشروع شعري يجسّد طموح جيل جديد من الشّعراء في العراق وبقيّة أقطار الوطن العربي، وكانت أبرز تجسّدات هذا الطموح.

٤ ـ إنّها جعلت من ذلك المشروع «قضيّة» راهنة وفتحت باب الصّراع على مصراعيه؛ فأحدثت هزّة عنيفة في المفهومات السّائدة، وأسهمتْ في خلخلتها وإزاحتها، وفضحت هشاشة موقف المتشبّثين بتلك المفهومات.

٥ ـ لكلّ ما تقدّم تستحقّ مجلّة شعر ٦٩ أن تكون شهادة ميلاد الجيل الشعري الجديد، الجيل الستيني، بعد مخاض استمرّ عدّة سنوات، وكان فيه الكثير من النّكوص والتقدّم. ورغم إيقاف صدور المجلّة، فإنّ قضيّة هذا الجيل حُسِمَتْ، وتصدّرت نصوصه ومفهوماته حركةَ الشّعر في العراق.